algunatuna
Journal of Arabic Linguistics and Education
Vol. 3 No. 2, Juni 2018, 119-132
P-ISSN: 2477-5371; E-ISSN: 2503-2690

المسائل النحوية
(دراسة تقابلية بين مدرسة البصرة والكوفة)

Roviin
Institut Agama Islam Negeri (IAIN) Salatiga
roviinrovi@gmail.com

Abstract
When Islam spread to some Arabian peninsula, Arabs were also scattered to various regions, they communicated with non-Arabs and assimilated with each other. As a result, a new generation emerged that could not preserve the authenticity of its language. Therefore, the Arabs became distorted from the authenticity of their language. The emergence of many Arabic aberrations led to the need to preserve the originality of the Arabic language. This article attempts to analyze the problem of Arabic deviation. Abu al-Aswad al-Duwali was the first who establish Arabic grammars on the orders of Caliph Ali ibn Abi Talib. After Abu al-Aswad al-Duwali, emerging famous grammars were divided into Madrasa of Bashra and Madrasa of Kufa, each of these Madrasas had characteristics and differences. The difference between these two Madrasas is enormous and in many issues. The distinguishing difference between these two Madrasas is that the Madrasa of Bashra is more stringent in terms of Arabic grammars, while Madrasa of Kufa is more loose in it.

Keywords*: Grammatical issues, Madrasa of Bashra, Madrasa of Kufa.*

Abstrak
Ketika Islam tersebar ke beberapa Jazirah Arab, orang-orang Arab pun juga tersebar ke berbagai daerah, mereka berkomunikasi dengan orang-orang non Arab dan membaur antara satu dengan lainnya. Akibatnya, muncullah generasi baru yang tidak dapat menjaga keaslian bahasanya. Oleh karena itu, orang-orang Arab menjadi menyimpang dari keaslian bahasa yang dimilikinya.. Munculnya banyak penyimpangan bahasa Arab menyebabkan perlunya upaya melestarikan orisinalitas bahasa Arab. Artikel ini berupaya menganalisis permasalahan penyimpangan bahasa Arab yang terjadi. Abu al-Aswad al-Duwali adalah orang pertama yang menetapkan kaidah-kaidah bahasa Arab atas perintah Khalifah Ali ibn Abi Thalib. Setelah Abu al-Aswad al-Duwali, muncul ahli-ahli tata bahasa terkenal yang terbagi ke dalam Madrasah Bashrah dan Madrasah Kufah, masing-masing Madrasah ini memiliki karakteristik dan perbedaan. Perbedaan antara kedua Madrasah ini sangat besar dan dalam banyak hal. Perbedaan yang menonjol dari kedua Madrasah ini adalah dimana madrasah Bashrah lebih ketat dalam hal kaidah bahasa Arab, sementara Madrasah Kufah lebih longgar dalam kaidah.

Kata Kunci *: Masalah gramatikal, Madrasah Bashrah, Madrasah Kufah.*

المقدمة

كان العرب في جاهليتهم يقيمون في شبه الجزيرة العربية، لا يختلطون بالأجانب، وقد أدى ذلك إلى فصاحة لهجاتهم وقوة بيانهم وابتعادهم عن اللحن والتحريف. وعندما أشرقت شمس الإسلام على الجزيرة العربية، ودخل الناس في دين الله أفواجا، اضطر العرب إلى الإنتشار في الأرض والاتصال بالناس والاختلاط بغيرهم من الأعاجم في سائر الأمصار المفتوحة.

فبهذا نشأت ناشئة جديدة من المولدين لا تستطيع ضبط لسانها، ومن هنا أخذت سلائق العرب تفسد وطبيعتهم تنحرف، فظهر اللحن ثمّ أخذ يستشرى ويتسع حتى أزعج الغيوريين على الفصحى وأقلق نفوسهم.[١]

ومما نقل في هذه الظاهرة أنه قد بدأ ظهور اللحن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد روي أن رجلا لحن بحضرته فقال لمن حوله : "أرشدوا أخاكم فقد ضلّ"[٢]

وكان معظم هذا اللحن على ألسنة الطارئين من الموالى والمتعرّبين كسلمان الفارسي الذي كان يرتضح لكنة فارسية، وبلال مولى أبى بكر الذي كان يرتضح لكنة حبشية وصهيب الذي كان يرتضح لكنة رومية. ولكن هذا اللحن كان قليلا أيام الخلفاء الراشدين، كما كثر فيما بعد واتسعت دائرته بسبب مخالطة الأعاجم والإصهار إليهم واتساع الفتوح الإسلامية.[٣]

وقد اشتهر منذ الزمان القديم ضراوة الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين. لقد وجد الخلاف بين المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية في استخدام المصطلحات النحوية.

إن منشأ الخلاف بين المدرستين في الأخذ عن الأعراب، حيث اعتمدت كل مدرسة منهجا مختلفا في الأخذ. فالبصرة تتقيد بضوابط الصحة والنقاء والسلامة في المصدر وبعده عن الاختلاط والتأثر بالحضر. أما الكوفة فتتساهل في ذلك، فتنشأ عنه أصل الاختلاف في الاستدلال على الرأي. وكان للعامل السياسي الحزبي أثر كبير في الخلاف بين المدرستين، حيث الولاء في البصرة عثماني

---

[١] عاصم بهجت البيطار وغيره، *شرح ابن عقيل لألفية بن مالك*(الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٨هـ)، ١٣.

[٢] عبد الهادي الفضلي، *مراكز الدراسات النحوية* (الأردن : مكتبة المنار، ١٩٨٦)، ٦.

[٣] عاصم بهجت البيطار وغيره، *شرح ابن عقيل*، ١٤.

أموي، وفي الكوفة علوي عباسي. وتمسكت كلتا البلدتين بما تدين له، ورغبة كل منهما في حزارة الرفعة وحمل راية العلم، ومنها علم النحو.[٤]

توجد مذهبين الكبيرين في علم النحو، وهما مذهب البصرة ومذهب الكوفة. نشأ مذهب البصرة في مدينة بصرة، ومذهب الكوفة في مدينة كوفة. ومع تطور العلوم والحضارة نشأت بعض المذاهب النحوية مثل: مذهب البغدادي ومذهب الأندلسي ومذهب المغربي ومذهب المصري. ومن علماء البصرة هم: أبو الأسود الدؤلي، وابن أبي إسحاق، والخليل، وسيبويه، والأخفش، وغيرهم.[٥]

ومن الناحية العنصرية فأكثر أهل الكوفة من اليمانيين، وأكثر أهل البصرة من المضريين. حتى طال الكلام في هذه الصناعة وحدث الخلاف بين أهلها في الكوفة والبصرة، المصريين القديمين للعرب، وكثرت الأدلة والحجاج بينهم، وتباينت الطرق في التعليم، وكثر الاختلاف في إعراب كثير من آي القرآن باختلافهم في تلك القواعد.[٦] فمن الخلفية السابقة، ينطلق الباحث للبحث عن دراسة تقابلية بين مدرسة البصرة والكوفة في المسائل النحوية.

منهج البحث

هذا البحث يعد من البحوث النوعية، ولكنه ليس من البحث النوعي العادي الذي يعتمد كثيرا على الحوار بين الباحث والمستجيبين الذين أخذت منهم البيانات، وإنما يدخل هذا البحث من ضمن البحث الذي يعتمد على الكتب والمقالات أي البحث المعتمد على الكتابات. وقيل أن هذا النوع من البحث يسمى مراجعة النصوص. ولكن هناك بعض الفروق، حيث أن الأول أي البحث المعتمد على الكتابات له خطة علمية أكثر من الثاني. ويعتبر أيضا هذا البحث بحثا مكتبيا، فينبغى للباحث قراءة الكتب وغيرها من المصادر المكتبية عما يتعلق بالموضوع المكتوب.

والموضوع لهذا البحث هو الفوارق بين مدرسة البصرة والكوفة في المسائل النحوية. ويتناول هذا البحث في أسباب وضع علم النحو وأول واضعه، ونشأة المذهب البصري والكوفي والسمات المميّزة

---

[٤] إبراهيم عبود السامرائي، *المفيد في المدارس النحوية* (دون مدينة : دار المسيرة، ٢٠٠٨)، ٤٩.

[٥] نوفيتا رحمي،"علم النحو عند مذهب البصرة"، *مجلة البيان*، المجلد٤، العدد ١ (٢٠١٢)، ١.

[٦] مهدي المخزومي، *مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو*، الطبعة الثانية (مصر: دار الطبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٩٥٨)، ٩٨.

لهما، والموازنة الخاطفة بين المذهبين من مسائل الخلاف بينهما. وذلك بإضافة أفكار المتخصصين في هذا المجال.

يبحث الباحث عن البيانات المكتبية لنيل البيانات المكتوبة. وينقسم المصدر المكتوب في البحث عن الكتب إلى قسمين: المصدر الأساسى والمصدر الثانوي. فالمصدر الأساسى هو الذي يصدر البيانات مباشرة. وأما المصدر الأساسى في هذا البحث هو الكتب التى لها علاقة بالموضوع. والمصدر الثانوي هو الذي يكمل المصدر الأساسى. والمصدر الثانوي لهذا البحث هو الكتب الأخرى التى تكمل البيانات لهذا البحث.

قام الباحث باستقراء تلك الكتابات، وقراءتها قراءة جدية. يعني يتبعه للإنتقال مما هو معلوم إلى هو مجهول،[٧] وبعد أن يتشكل الفهم الصحيح والصورة الذهنية الواضحة عن موضوع البحث، يقوم الباحث بتحليل هذه المعلومات وتحقيقها، وإضافة عناصر مهمة تسهل الفهم والتصور للقارئ. وبعد أن قام الباحث بقراءة المراجع الأساسية والثانوية، أخذ الباحث المعلومات الهامة التي تتعلق بالموضوع، ثم يقوم بتحليلها وبيانها.

أسباب وضع علم النحو وأول واضعه

نظرا إلى ما وقع من ظاهرات الحياة الاجتماعية، خاصة فيما يتعلق بنشوء الألحان في اللغة العربية لدى العرب وغيرهم، فمعقول أن منهم من حاول ايجاد الدواء لهذا المرض اللغوي. أو بعبارة أخرى أن هذه الظاهرة سببت إلى نشوء المحاولة لإبقاء اللغة العربية على أصالتها وسليقتها.

ذكر الأستاذ شوقي ضيف بواعث لوضع النحو :

١. باعث دينيّ: هذا الباعث يرجع إلي الحرص الشديد على أداء نصوص الذكر الحكيم أداء فصيحا سليما إلى حدود السلامة والفصاحة، وخاصة بعد أن أخذ اللحن يشيع على الألسنة. هنا مثال على وقوع اللحن في تلاوة القرآن، ما يروى عن الحجاج من أنه سأل يحي بن يعمر هل يلحن في بعض نطقه؟ وسؤاله ذاته يدل على ما استقرّ في نفسه من أن اللحن أصبح بلاء عاما، وصارحه يحي بأنه يلحن في حرف من القرآن الكريم إذ كان يقرأ قوله عز وجلّ : قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ

[٧] عبد الرحمن العيسوي وعبد الفتاح العيسوي، *مناهج البحث العلمي: في الفكري الإسلامي والفكري الحديث*(دون مدينة : دار الراتب الجامعية. ١٩٩٧)، ١٧٥– ١٧٤.

وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ إلى قوله تعالى : (أحبَّ) بضم أحب (أحبُّ) والوجه أن تقرأ بالنصب خبرا لكان.

٢. باعث قوميّ عربيّ : هذا الباعث يرجع إلى أن العرب يعتزون بلغتهم اعتزازا شديدا، وهو اعتزاز جعلهم يخشون عليها من الفساد حين امتزجوا بالأعاجم، ومما جعلهم يحرصون على رسم أوضاعها خوفا عليها من الفناء والذوبان في اللغات الأعجمية.

٣. باعث اجتماعيّ : هذا الباعث يرجع إلى أن الشعوب المستعربة أحست الحاجة الشديدة إلى من يرسم لها أوضاع العربية في إعرابها وتصريفها حتى تتمثلها تمثيلا مستقيما، وتتقن النطق بأساليبها نطقا سليما.

٤. رقي العقل العربي ونمو طاقته الذهنية نموّا أعدّه للنهوض برصد الظواهر اللغوية وتسجيل الرسوم النحوية تسجيلا تطرد فيه القواعد وتنظيم الأقيسة انتظاما يهيّء لنشوء علم النحو ووضع قوانينيه الجامعة المشتقة من الاستقصاء الدقيق للعبارات والتراكيب الفصيحة ومن المعرفة التامة بخواصها وأوضاعها الإعرابية.[٨]

ذكر ابن الأثير في المثل السائر – وهي قصة تساق لمعرفة السبب المباشر في وضع النحو العربي – أن أبا الأسود الدؤلي دخل على ابنته بالبصرة فقالت له :" يا أبت : ما أشدّ الحرّ، فقال لها : شهرناجر فقالت : إنما أخبرتك ولم أسألك . فأتى عليّا كرم الله وجهه فقال له :" ذهبت لغة العرب، ويوشك إن تطاول عليها الزمن أن تضمحلّ، فقال له عليّ : وما ذاك ؟ فأخبره الخبر فقال: هلمّ صحيفةً. ثمّ أملى عليه : (الكلام لا يخرج عن اسم و فعل وحرف).

وقد رويت قصة أخرى في هذا المجال مشابهة وهي أن أبا الأسود الدؤلي سمع ابنته تلحن إذ قالت له :" ما أحسنُ السماءِ، فقال لها : نجومها فقالت : لم أرد أيّ شيء أحسن فيها- إنما أتعجّب من حسنها ! فقال لها أبوها : قولي ما أحسنَ السماءَ ! ثم دفعه ذلك إلى التفكير في وضع قواعد النحو. والروايتان عندنا صحيحتان ولا تعارض بينهما، فقد تكرّر المسألة في وقتين متقاربين أو متباعدين.[٩]

[٨] شوقي ضيف، *المدارس النحوية* (القاهرة : دار المعارف، ١٩٦٩)، ١٢-١٣.

[٩] عاصم بهجت البيطار وغيره، *شرح ابن عقيل*، ١٥.

أما عن أول واضع علم النحو فاختلف الناس إلى أقوال، منهم من يقول أبو الأسود الدؤلي، وقيل نصر بن عاصم، وقيل عبد الرحمن بن هرمز، وأكثر الناس على أنه أبو الأسود الدؤلي.[١٠] هذا الرأي أيده من المؤرخين السابقين ابن قتيبة (ت ٢٧٢)، والمبرّد (ت ٢٨٥) والإمام السيرافي (ت ٣٦٨)، والراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢)، والإمام السيوطي (ت ٩١١). ومن النحاة المعاصرين الأستاذ كمال إبراهيم، ومصطفى السقا وعلي مجدي ناصف.[١١] اختار علي بن أبي طالب أبا الأسود الدؤلي لمهمة محاربة ومعالجة ظاهرة اللحن لأنه كان رجل أهل البصرة وكان علوي الرأي ولأنه من أكمل الرجال رأيا وأسدّهم عقلا.[١٢]

قام أبو الأسود الدؤلي بضبط المصحف ووضع نقطا وعلامات تدل على الحركات المختلفة. ثم توالت حركة التأليف من العلماء بعد ذلك في علم النحو.

نشأة المذهب البصري والسمات المميّزة له

سبق علماء البصرة بالعراق إلى تدوين مسائل النحو، وذلك بعد طول اتصال بعرب البادية للأخذ عنهم، وقد كانت البصرة قريبة من بادية نجد، وعلى ثلاثة فراسخ من المربد الذي آل أمره إلى سوق أدبي للشعر والمناظرة. وكان النحويون يقصدونه لتلقي الشعر من أفواه العرب. وكان يهاجر إلى البصرة كثير من علماء المدن المجاورة ليتعلموا النحو وينقلواه إلى بلادهم. فهذه العوامل ساعدت البصريين على تدوين قواعد النحو واللغة قبل غيرهم بنحو قرن من الزمان.[١٣]

كان العمل الذي ابتدأه أبو الأسود الدؤلي، عاونه في ذلك بعض تلاميذه الذين يعدّون بحق من أعلام المذهب البصري، ومن أشهرهم نصر بن عاصم (ت ٨٩ه)، وعبد الرحمن بن هرمز (ت ١١٧ه)، و يحي بن يعمر (ت ١٣٩ه). وكان لهؤلاء الرواد عظيم الأثر فيمن خلفهم من أمثال عيسى بن يعمر الثقفي (ت ١٤٩ ه)، وأبي عمرو بن العلاء (ت ١٤٥ه)، و أبى الخطاب الأخفش الأكبر (ت ١٧٧ه)، ويونس بن الحبيب (ت ١٨٢ه)، وغيرهم من نحاة البصرة.

---

[١٠] شوقي ضيف، *المدارس النحوية*، ١٣.

[١١] عبد الهادي الفضلي، *مراكز الدراسات النحوية*، ٩-١٤.

[١٢] خالصين، "نشأة النحو العربي"، *في دورية اللغة والفن*، السنة الواحدة والثلاثين، العدد الأول، فبراير ٢٠٠٣.

[١٣] عاصم بهجت البيطار وغيره، *شرح ابن عقيل*، ١٦.

أما المؤسس الحقيقي لمذهب البصريين فهو الإمام العبقري الخليل بن أحمد الفراهيدي، المتوفى سنة ١٧٤ هـ، وذلك لما وهبه الله من ذكاء خارق وملكة مبتكرة وصبر نادر، ومن ثمّ ساعدته هذه المواهب على معرفة أسرار العربية وإدراك خصائصها وفهم نظامها وتركيب أساليبها.[١٤] ذكر في هذه الكتابة بعض أسماء النحاة المشهورين فقط - بشيء من التفصيل - من المدرستين البصرة والكوفة لما لهم من الجهود الجبارة في الانتاج العلمي القيم في هذا الفن ولما له من آثار اللغويين القدماء وأصبح إنتاجهم العلمي مواضع دراسة في الماضى والحاضر.

تميزت المدرسة البصرية بعدة خصائص ما لا يوجد في نظيرها المدرسة الكوفية وذلك لموقعها الجغرافي الذي يلزم بالطبع سلامة من أخذوا عنه من العرب المقطوع بعراقتهم في العروبة وصونهم فطرتهم من تسرب الوهن إليها. وكذلك تميزت الرواية لديهم بثقة ما سمعوا عنهم من طريق الحفظة والاثبات الذين بذلوا النفس والنفيس في نقل المرويات عن قائليها.[١٥]

أشهر أئمة المذهب البصري :

١. الخليل بن أحمد : هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي البصري (ولد سنة ١٠٠ هـ وتوفّي سنة ١٧٥ هـ على القول الراجح). وهو أحد أئمة البصرة الذين أسسوا قواعد العربية، وشيدوا صرحها الشامخ بفضل ذكائه النادر وجهوده الموفّقة. ومن جهوده العلمية أنه وضع علم العروض الذي حدد فيه أوزان الشعر العربي وسماها بحورا، وكان تعداد البحور التي ذكرها خمسة عشر بحرا، ثم جاء الأخفش فاستدرك واحدا آخر، فأصبح ستة عشر بحرا. ووضع كذلك أساس المعاجم العربية الذي سماه "معجم العين"، وله أيضا جهود جبارة في علم النحو، فهو الذي أرسى قواعده وعمّق أصوله وبسط مباحثه مثل مباحث العامل والسماع والقياس والتعليل.
٢. سيبويه : عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بن الحارث بن كعب، اشتهر بلقبه سيبويه، وهو لقب فارسي معناه رائحة التفاح. ولعل ذلك يرجع إلى أنه كان طيب الرائحة تفوح منه رائحة التفاح.[١٦]

---

[١٤] مصطفى عبد العزيز السنجرجى، *المذاهب النحوية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة*(جدة: مكتبة الفيصلية، دون سنة)، ١٥-١٦.

[١٥] علي برهان، "المدرسة البصرية للنحو العربي"، *ألسنتنا*، المجلد ٢، العدد ١ (٢٠١٦): ١١٦.

[١٦] مصطفى عبد العزيز السنجرجى، *المذاهب النحوية*، ٢٦.

قال الأزهري :"كان سيبويه علامة، حسن التصنيف، جالس الخليل وأخذ عنه، وما علمت أحدا سمع منه كتابه هذا، لأنه احتضر، وقد نظرت في كتابه، فرأيتُ فيه علما جمّا".[١٧] أما جهوده العلمية فيكفي سيبويه فخرا في أنه ترك لنا كتابه الذي كان ولا يزال المرجع الأول الذي يهتدى به الباحثون في علوم النحو والصرف واللغة لما حواه من الأساليب والقواعد والشواهد والمصطلحات والعلل والأقيسة والآراء التي فطن إليها بنفسه أو رواها عن أئمة عصره، وفي ذلك أكبر دليل على ما بذله هذا الإمام من جهود جبارة وعناية فائقة في سبيل الحفاظ على اللغة العربية وسلامتها من الخطأ.[١٨]

٣. المبرد : هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي البصري، ولد بالبصرة سنة ٢١٠ هـ على الراجح. فعكف منذ صغره على الدراسة وقصد أئمة عصره، ومن أشهرهم أبو عمر الجرمي، وأبو عثمان المازني، وأبو حاتم السجستاني، ونبغ في النحو والصرف، ويقال إن أستاذه أبا عثمان المازنى هو الذي لقّبه بالمبرد - بكسر الراء - لإعجابه بحسن إجابته وفهمه وجودة معالجته لمسائل النحو وعلله.

ومن صفاته الحميدة أنه كان غزير العلم والأدب، وكثير الحفظ، وحسن الاشارة، وفصيح اللسان، وبارع البيان، وكريم العشرة، وحلو المخاطبة، وجيد الخط، وحاضر البديهة، وعذب المنطق، وذا قدرة فائقة على الشرح والبيان. ولذلك نبغ على يديه كثير من أئمة اللغة مثل نفطويه إبراهيم بن محمد، وأبي علي الصفار، والأخفش الصغير وغيرهم.

من جهوده العلمية : له مؤلفات ، مثل كتاب الكامل (في الأدب)، والمقتضب (في النحو)، والاشتقاق، وإعراب القرآن، والتصريف، والروضة، وشرح شواهد سيبويه، والمدخل إلى سيبويه، والمذكر والمؤنث، ومعانى القرآن، والمقصور والممدود، وإلى غير ذلك من الكتب التي نجدها منسوبة إليه.[١٩]

---

[١٧] خضر موسى محمد محمود، *النحو والنحاة المدارس والخصائص*، ط ١ (بيروت : عالم الكتب، ٢٠٠٣)، ٤٣.

[١٨] مصطفى عبد العزيز السنجرجى، *المذاهب النحوية*، ٢٩.

[١٩] *نفس المرجع*، ٣٤-٣٥.

خصائص وميزات مذهب البصريين :

هناك بعض الخصائص والميزات لمذهب البصريين المعروف بها الفرق بينهم وبين مذهب الكوفيين، وتلخيص سمات المذهب البصري فيما يلي :

١. الحزم الصارم والتشدد الزائد في قبول الشعر المروي وعدم اعترافهم إلا بالقليل من القبائل العربية الموثوق بها، وقلما يعتمدون على خبر الآحاد.[٢٠]

ومما يعرف من تشدد البصريين ما جاء في ترجمة أبي عمرو بن العلاء، فقد روي أنه سأل أبا خيرة، وهو من الأعراب عن قول العرب :"استأصل الله عرقاتَهنّ" فنصب أبو خيرة التاء من "عرقاتهن" فقال له أبو عمرو: هيهات أبا خيرة، لأن جلدك.[٢١]

٢. الثقة التامة بقواعدهم والاعتداد بآرائهم وتخطئتهم للروايات التي تنافي مذهبهم مهما يكن مصدرها.

٣. تأوّل كل ما يخالف مذهبهم، ولو كان عربيا فصيحا وتكلف العنت في ذلك، فإذا عجزوا عن التأويل حكموا بشذوذه.[٢٢]

٤. القدرة الفائقة على الاستدلال بالبراهين العقلية والأقيسة المنطقية والعلل الفلسفية.[٢٣]

نشأة المذهب الكوفي والسمات المميزة له

جاءت المدرسة الكوفية متأخرة عن مدرسة البصرة بنحو قرن من الزمان، بعد أن تأصلت القواعد، ورسخت المعايير عند البصريين. فاتخذوا لأنفسهم مذهبا خاصا يضاهي المذهب البصري، وينافسه. وقد أخذوا على البصريين أن قواعدهم ضيقة بسبب استقرائهم الناقص، وترك لغات بعض القبائل واهمال القياس.

كان الكوفيون أكثر رواية للشعر من البصريين، لذا جعلوا كل ما ورد عن العرب اماما لهم لا يخطّئونه ولا يعتسفون في تأويله ويجيزون القياس عليه. فكان مذهبهم بذلك أسمح وأوسع وأيسر

---

[٢٠] عاصم بهجت البيطار وغيره، *شرح ابن عقيل*، ١٧.

[٢١] إبراهيم السامرائي، *المدارس النحوية سطورة وواقع*(عمان : دار الفكر للنشر والتوزيع: ١٩٨٧)، ١٨.

[٢٢] عاصم بهجت البيطار وغيره، *شرح ابن عقيل*، ١٨.

[٢٣] مصطفى عبد العزيز السنجرجى، *المذاهب النحوية*، ١٨.

وأسهل. ومن هنا نشأ الخلاف بين المذهبين في كثير من الفروع. وإذا كانت الكوفة تعتمد على سوق الكناسة الذي يقابل المِربَد عند البصريين وتلتقي فيه بالشعراء والخطباء والعلماء إلا أنها لبعدها عن البادية قلّ نزوح العرب إليها. وبخاصة من صحت لهجاتهم ولم يكن للكناسة ما للمربد من شهرة واسعة وأثر بعيد. ومن هنا انتشر المذهب البصري انتشارا هائلا واتسع مداه في كثير من اللهجات بعكس المذهب الكوفي.[٢٤]

ذكرت بعض الروايات أن هناك من الأئمة من سبقوا الكسائي تأسيس هذا المذهب، لكن الراجح أن المؤسس الحقيقي لهذا المذهب هو أبو الحسن على بن حمزة الكسائي.[٢٥] وساعده في ذلك تلميذه الفرّاء. فهما اللذان رسما صورة هذا النحو ووضعا أصوله وأسسه، وأعداه بحذقهما وفطنتهما لتكون له خواصه التي يستقل بها عن النحو البصري، مرتبين لمقدّماته، ومدققين في قواعده ومتخذين له الأسباب التي ترفع بنيانه.[٢٦]

إن النحو الذي وضعه علماء الكوفة من خلال وضع قواعده لا يختلف عن ما تطوره علماء البصرة، لأن كليهما من نفس المؤسسة، وهي البصرة. ومع ذلك، هناك العديد من الاختلافات التي تسببها المصادر المختلفة للغة المستخدمة كأساس لـلرواية والقياس.[٢٧]

أما أئمة المذهب الكوفي فعلى رأسهم أبو جعفر الرؤاسي وتلميذاه الكسائي والفراء. ثم هشام بن معاوية الضرير، وابن السكيت، وابن الأعرابي، والطوال، وثعلب، وابن كيسان، وابن سعدان، وابن الأنباري ونفطويه وغيرهم.[٢٨]

أشهر أئمة المذهب الكوفي :

١. الكسائي : على بن حمزة الكسائي أبو الحسن الأسدي. أحد الأئمة القراء من أهل الكوفة، استوطن بغداد، كان الكسائي من أهل باخشاء ودخل الكوفة وهو غلام. وكان يعلم بها الرشيد ثم الأمين من

---

[٢٤] عاصم بهجت البيطار وغيره، *شرح ابن عقيل*، ١٨.

[٢٥] مصطفى عبد العزيز السنجرجى، *المذاهب النحوية*، ٣٨.

[٢٦] شوقي ضيف، *المدارس النحوية*، ١٥٤.

[27] Ridwan, "Karakteristik Nuhat Kufah dan Bashrah", *Jurnal Lingua*,Vol. 3, No.1 (2008): 67.

[٢٨] انظر عاصم بهجت البيطار وغيره، *شرح ابن عقيل*، ١٨ وانظر كذلك خضر موسى محمد محمود، *النحو والنحاة*، ٧٤-١٠٧.

بعده. صنّف الكسائي كتبا كثيرة : معانى القرآن، المختصر في النحو، القراءات، العدد، اختلاف العدد، مقطوع القرآن وموصوله، النوادر الكبير، النوادر الأصغر، الهجاء، والمصادر. وزاد السيوطي " الحروف وأشعار المعابات". وأضاف ياقوت " كتاب الهاءات المكنّى بها القرآن".[٢٩]

٢. الفراء : يحي بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧ه). كان من أبرع الكوفيين وأعلمهم. قال قطرب: "دخل الفراء على الرشيد، فتكلم بكلام فلحن فيه مرات، فقال جعفر بن يحي: إنه لحن يا أمير المؤمنين، فقال الرشيد للفراء أتلحن ! فقال الفراء: يا أمير المؤمنين، إن طباع أهل البدو الإعراب، وطباع أهل الحضر اللحن، فإذا تحفظت لم ألحن، وإذا رجعت إلى الطبع لحنت، فاستحسن الرشيد قوله. وللفراء تصانيف منها : معانى القرآن، البهي، اللغات، المصادر في القرآن، الجمع والتثنية في القرآن، الوقف والابتداء وغيرها.[٣٠]

خصائص وميزات مذهب الكوفيين :

ويمكن تلخيص السمات الغالبة على الكوفيين فيما يلي :

١. العناية بكل ما يسمعون من شعر عربيّ واحترام كل ما ورد عن العرب وعدم رفض شيء منه.
٢. الاحتجاج بالشواهد، حتى ولو كان الشاهد واحدا أو مجهول الأصل، وبناء القواعد على ذلك وقد قيل : إن الكسائي كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلا ويقيس عليه.
٣. التسامح في كل ما يصلهم من نصوص وعدم الحكم على شيء بالضرورة، وعدم نزوعهم إلى التأويل أو الاعتساف فكان مذهبهم بذلك واسعا مفتوحا.[٣١]
٤. إنهم أقل استعمالا لأساليب علم الكلام من حيث الاعتداد بالعقل والاستناد إلى البراهين المنطقية والعلل النفسية.[٣٢]

---

[٢٩] خضر موسى محمد محمود، *النحو والنحاة*، ٧٤.

[٣٠] *نفس المرجع*، ١٠٠-١٠١.

[٣١] عاصم بهجت البيطار وغيره، *شرح ابن عقيل*، ١٨.

[٣٢] مصطفى عبد العزيز السنجرجى، *المذاهب النحوية*، ٤١.

الموازنة الخاطفة بين المذهبين

اتفق علماء النحو في البصرة وبغداد على وجود قياس في النحو. ولكن اختلفوا في تعريفه وتحديده. ويمكن الاعتبار على علماء البصرة كأول من يناقش القياس في النحو. هذا لأن البصرة أصبحت نقطة الانطلاق لوجود النحو وتطوره. في حين، ساهم علماء بغداد في توسيع البحوث حول القياس وتطوير مفهومه فقط.[٣٣]

كان البصريون أكثر استنباطا وأوثق رواية من الكوفيين. حتى لقد كان الكوفيون يثقون في روايتهم ويعملون بها. ولم يحدث العكس، ثم كان البصريون هم السابقين في وضع القواعد وتقرير المسائل. وقد تألق منهم علماء كانوا أعلاما في اللغة والنحو، فكانت شخصيتهم عامل جذب لهذا المذهب وسبيلا إلى شهرته وذيوعه. وكان الكوفيون أقل تدقيقا وأضعف رواية وأكثر تساهلا مما جعل مذهبهم واسعا مفتوحا، كما ابتعدوا عن التكلف والتضييق الذي اشتهر به البصريون.

وهذه ليست تزكية مطلقة لهذا المذهب ولكن الوقوف عند قوة الدليل لا متحيزين ولا متعصبين، وإن كان في النهاية مذهب البصريين أوثق ومذهب الكوفيين أيسر وأوسع.

وقد تصدّى العلماء لوضع كتب في قضية الخلاف بين المذهبين منهم : أبو البقاء العكبري المتوفّى سنة ٦٦٦ ه الذي وضع كتابا في هذا الموضوع باسم " التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين" كما ألف العلامة الجليل أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي المتوفى سنة ٥٧٧ ه كتابا أسماه " الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين" ذكر فيه مائة وإحدى وعشرين مسألة فيها خلاف بين المذهبين.

وهذه إشارة أن الخلاف بين هاتين المدرستين واسعا، وقد حدثت بينهما مناظرات ومناقشات بدأت هادئة بين الخليل والرؤاسي ثم اشتدت بين سيبويه والكسائي ومن جاء بعدهما. واستمرّت إلى أواخر القرن الثالث الهجري، ثم خفّت حدة الجدل والخصومة بعد هذا. حيث جاء من عرض المذهبين ونقدهما واختار منهما مذهبا خاصا وعلى رأس هؤلاء العلامة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الكوفي المتوفّى سنة ٢٩٦ ه، فقد قرّب بين المذهبين ومزّج بينهما وإن كان إلى البصريين أميل.[٣٤] **وما يلي بعض أمثلة الخلاف بين البصريين والكوفيين في المسائل النحوية :**

[33] Wati Susiawati, "Ushul al Nahwi Dalam Perspektif Ibn Madha", *Arabi: Journal of Arabic Studies*, Vol. 2 No. 2 (2017):165-171.

[٣٤] عاصم بهجت البيطار وغيره، *شرح ابن عقيل*، ١٩–٢٠.

١. (لولا) ترفع الاسم بعدها نحو (لولا عليٌّ لأكرمتُك) كما يقول الكوفيون. وقال البصريون : مرفوع بالابتداء.
٢. اللام الأولى في (لعلّ) أصلية عند الكوفيين وقال البصريون : زائدة.
٣. يجوز للضرورة ترك صرف المنصرف عند الكوفيين وقال البصريون : لايجوز.
٤. الياء والكاف في (لولاى و لولاك) في موضع رفع عند الكوفيين وقال البصريون : بل في موضع خفض.
٥. الاسم المبهم نحو (هذا) أعرف من العَلم عند الكوفيين وقال البصريون : العلم أعرف.
٦. لا يجوز تقديم خبر (ليس) عليها عند الكوفيين وقال البصريون : يجوز.
٧. فعل الأمر مقتَطَعٌ من المضارع المجزوم بلام الأمر وجزء منه عند الكوفيين، وقال البصريون : الأمر قسم برأسه.
٨. إضافة النيّف إلى العشرة أجازه الكوفيون، فقالوا: (خمسة عشْرٍ) ومنعه البصريون.
٩. العطف على الضمير المخفوض يجيزه الكوفيون، وقال البصريون : ممنوع.
١٠. تقديم معمول اسم الفعل عليه يجيزه الكوفيون ويمنعه البصريون.[٣٥]
١١. يري البصريون أن الظرف إذا تقدم على الاسم ارتفع الاسم بالابتداء، ويرى الكوفيون أن الاسم يرتفع بالظرف، و وافقهم المبرد والأخفش في أحد قوليه.[٣٦]

الخلاصة

مما سبق بيانه يمكن تلخيصه في أن العرب في جاهليتهم كانوا فصحاء اللهجة، لأنهم لم يختلطوا بغيرهم من الأجانب. وقد بدأ ظهور اللحن في الكلام منذ زمان النبي صلى الله عليه وسلم ثم في عهد الخلافة الرشيدة وأخذت تنتشر عندما انتشر الإسلام إلى البلاد الواسعة على وجه الأرض واتصال العرب بالناس (العجم) واختلاطهم بهؤلاء الأعاجم في سائر الأمصار المفتوحة.

كان نشوء مظاهر اللحن وكثرتها دفعت إلى أمس الحاجة في حفاظ اللغة العربية على أصالتها وفصاحتها، فوضع أبو الأسود الدؤلي قواعد بدائية في النحو بتوجيه أو أمر من الخليفة علي بن أبي

[٣٥] *نفس المرجع*، ٢٠.
[٣٦] إبراهيم السامرائي، *المدارس النحوية*، ٦٢.

طالب رضي الله عنه (في رواية). ويأتي بعد أبي الأسود الدؤلي النحويون المشهورون الذين انقسموا وانتموا إلى مدرستين البصرة والكوفة، ولكل مدرسة خصائصها وميزاتها التي تفرقها بين الآخر.

والخلاف الواقع بين هاتين المدرستين كبير وفي مسائل كثيرة، حيث أدى إلى محاولة بعض العلماء لجمع هذه الخلافات النحوية في كتاب مستقل. والسيمة المميزة بين هذين المذهبين باختصار أن مذهب البصريين أوثق وأن مذهب الكوفيين أيسر وأوسع.

References

Bahjat al Baiṭār, ‘Ãṣim, wa Gairuhu. *Syarḥ Ibn ’Aqīl, li Alfiyah Ibn Mãlik*. Riyad: Jãmi’ah al-Imãm Muḥammad ibn Sa’ũd al-Islãmiyah, 1986.

Burhãn, ‘Ali. “al-Madrasah al-Baṣriyah li al-Naḥwi al-‘Araby”. *Jurnal Alsinatuna*, Vol. 2, No.1 (2016): 102-117.

Ḍaif, Ṣauqy. *Al-Madãris al-Naḥwiyah*. Kairo: Dãr al-Ma’ãrif, 1969.

Al-Faḍaly, ‘Abd al-Hãdy. *Marãkiz al-Dirãsãt al-Naḥwiyah*. Jordan: Maktabah al-Manãr, 1986.

Al-Ĩsawiy, Abd al-Raḥmãn wa ‘Abd al-Fattãh. *Manãhij al-Baḥṡ al-‘Ilmi: Fi al-Fikri al-Islãmi wa al- Fikri al-Ḥadĩṡ*. Ttp: Dãr al-Rãtib al-Jãmi’ah, 1997.

Khãliṣĩn. “Nasy'at al-Naḥwy al-‘Araby”. *Dauriyat al-Lughah wa al-Fanni*, Vol. 31, No. 1 (Februari, 2003).

Al-Makhzũmy, Mahdy. *Madrasah al-Kũfah wa Manhajuhã fi Dirãsãt al-Lughah Wa al-Naḥwi*. Al-Ṭab’ah al-Śãniyah. Kairo: Syirkah Maktabah wa Maṭba’ah Muṣṭafã al-Bãby al-Ḥalabiy wa 'Aulãdihi bi Miṣr, 1958.

Mũsã Muḥammad Maḥmũd, Khaḍr. *Al-Naḥwu wa al-Nuḥãt, al-Madãris Wa al-Khaṣã’iṣ*. Beirut: ‘Ãlam al-Kutub, 2003.

Rahmi, Novita. “’Ilm al-Naḥwi ‘Inda Mażhab al-Baṣrah” *Jurnal Al Bayan*, Vol. 4, No.1(2012): 1-9.

Ridwan. “Karakteristik Nuhat Kufah Dan Bashrah”, *Jurnal Lingua*, Vol.3, No.1 (2008): 53-69.

Al-Samrã’iy, Ibrãhĩm ‘Abũd. *Al-Mufĩd fĩ al-Madãris al-Naḥwiyah*. Ttp: Dãr al-Masĩrah, 2008.

Al-Samrã’iy, Ibrãhĩm. *Al-Madãris al-Naḥwiyah, Suṭũrah Wa Wãqi’*. Oman: Dãr al-Fikr li al-Nasyr Wa al-Tauzĩ’, 1987.

Al-Sanjarji, Muṣṭafã ‘Abd al-‘Azĩz. *Al-Mażãhib al-Naḥwiyah Fi al-Dirãsãt al-Lughawiyah al-Ḥadĩśah.* Jeddah: Maktabah al-Faiṣaliyah, tt.

Susiawati, Wati. “Ushul Al-Nahwi Dalam Perspektif Ibn Madha”, *Arabi: Journal of Arabic Studies*, Vol.2, No.2 (2017): 165-171.